موقف الضباط العراقيين ودورهم في الأحداث والتطورات العسكرية والسياسية في العراق ١٩١٩-١٩٢١

أ.د.سلمان خيري محمد **السيد مزاحم جاسم محمد**
جامعة تكريت - كلية التربية للبنات – قسم التاريخ

المـقدمــة :

لعب الضباط العراقيين الذين كانوا سابقا في الجيش العثماني دورا مميزا في الأحداث التي رافقت الحرب العالمية الأولى، مرة إلى جانب الدولة العثمانية ومرة أخرى إلى جانب الثورة العربية عام١٩١٦م من اجل النضال في قضيتهم للحصول على الاستقلال والتحرير والسيادة الوطنية. وما ان انتهت الحرب العالمية الأولى إلا وجد الضباط العراقيين أنفسهم وغيرهم من السياسيين العرب إن أمالهم خابت وان بلادهم أصبحت تحت سيطرة مستعمرا جديد وخاصة بعد مؤتمر فرساي عام ١٩١٩م والكشف عن اتفاقيات سايكس- بيكو، والتصريح الذي أدلى بها وزيري خارجية بريطانيا وفرنسا عام ١٩٢٠م والقاضي بوضع دول المشرق العربي المنسلخة من الدولة العثمانية تحت نظام الانتداب.

فقد وجد الضباط العراقيين أنفسهم أمام مفترق طرق من اجل العمل على إنقاذ بلادهم وتحقيق لاستقلال، فاتجهوا مرة إلى استخدام القوة ومرة أخرى إلى استخدام السياسة والتعاون مع المحتل الجديد لتحقيق أهدافهم السابقة. فقد كان لهم دورا مميز في كافة الإحداث الجسام التي شهدتها البلاد خلال هذه المدة الزمنية القصيرة (١٩١٩- ١٩٢١) لذلك وجدنا من الضروري تقسيم هذه الحقبة إلى ثلاثة مباحث رئيسية :

تناول المبحث الأول موقف الضباط العراقيين ودورهم في الإحداث السياسية والعسكرية في العراق ١٩١٩- ١٩٢٠ تلك الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى مباشرتا والتي سقط فيها العراق تحت الاحتلال البريطاني المباشر.

إما المبحث الثاني فقد تناول دور الضباط العراقيين وموقفهم من الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠، بعد إن واجهوا الأساليب الاستعمارية القاسية في حكم بلادهم تلك الأساليب التي تدعوا إلى سياسة فرق- تسد وتقسيم العراق على أساس طائفي وعرقي.

في حين تناول المبحث الثالث دور الضباط العراقيين في الحكومة العراقية المؤقتة ١٩٢٠-١٩٢١م ، بعد إن أخفقت ثورة ١٩٢٠ ووعدت بريطانيا بتأسيس حكومة وطنية تخدم مصالح الشعب العراقي.

سيتضح ذلك الدور المميز من خلال الاعتماد عل الكثير من المصادر والمراجع التي سجلت احدث الفترة إضافة إلى المذكرات والوثائق وما نشر في الصحف والمجلات.تتمنى إن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا الذي هو جزء من رسالة ماجستير قدمها الطالب مزاحم جاسم بعنوان (الدور السياسي والعسكري للضباط العراقيين في الدولة العثمانية والمشرق العربي ١٩٠٨- ١٩٢١) والتي كانت تحت إشرافي ونوقشت في جامعة تكريت كلية التربية ومن الله التوفيق.

المبحث الأول
موقف الضباط العراقيين ودورهم في الأحداث السياسية والعسكرية في العراق ١٩١٩ ــ ١٩٢٠

أـ الاتصالات السياسية للضباط العراقيين قبل ثورة تلعفر :

كان للضباط العراقيين وهم في سوريا تأثيراً قوياً في أحداث العراق والضغط على الحكومة البريطانية من خلال المطالبة بحقوق العراقيين عن طريق مواصلة صلاتهم مع الوطنيين وتشجيع المعارضة ضد سياسة بريطانيا في العراق(١) ؛ لذلك اتصلوا بالساسة البريطانيين في دمشق من أجل العمل على قيام حكم وطني في العراق ، على غرار ما هو موجود في سوريا وهذا ما طلبهُ نوري السعيد وياسين الهاشمي من**Arnold ارنولد ولسن Wilson** (٢) وكيل الحاكم السياسي في العراق في أثناء زيارتهِ لدمشق مطلع أيّار ١٩١٩(٣) فضلاً عن ذلك عمل الضباط العراقيين على نقل تطلعات شعبهم الراغب في الاستقلال وتأسيس مملكة عراقية تحت حكم أحد أبناء الشريف حسين إلى اللجنة الدولية – الأمريكية المكلفة من قبل مؤتمر الصلح ، لتطلع على مطالب الشعبي العربي المنسلخ عن السيطرة العثمانية والتي كان من المقرر أن تزور العراق(٤) ؛ ولذلك بعث جعفر العسكري رسالة إلى الإمام الشيرازي في كربلاء يطلب منه توحيد الكلمة عند استقبال اللجنة الأمريكية والمطالبة باستقلال العراق التام والناجز(٥) ، وفي نفس الوقت بعثت جمعية العهد من دمشق الضابطين العراقيين جميل المدفعي وإبراهيم كمال كمبعوثين إلى فروعها في بغداد والموصل ، والى جمعية حرس الاستقلال والتي كانت تضم في عضويتها مجموعة من الضباط العراقيين بهدف توحيد أهداف الشعب العراقي وتقديمها إلى اللجنة الدولية من جانب والإعداد لثورة عراقية شاملة من جانب آخر(٦).

وفي مطلع تشرين الأول ١٩١٩ التقى جعفر العسكري وياسين الهاشمي في دمشق بمعاونة الحاكم السياسي في العراق **Miss Bell**[٧] التي وصفت ياسين الهاشمي ، ((بأنه العقل المدبر لجمعية العهد التي تطالب باستقلال العرب ووصفته بأنَّهُ يَحرَّضُ العرب على الأوربيين وأنَّهُ على اتصال بالعثمانيين وأنَّهُ طلب منها ضرورة قيام مملكة

عراقية ويكون ملكها الأمير عبد الله وتكون هذه المملكة قادرة على إدارة شؤونها خلال ستة أشهر وهي المدة التي يتطلبها تشكيل الجيش العراقي))[٨].

على أثر ذلك اللقاء بعثت المس بيل رسالة إلى حكومتها بينَّت فيها أن الضباط العراقيين في سوريا غير راضين عن الإدارة البريطانية في العراق وأنَّ عدم الرضا رُبَّما سيُؤَدِّي إلى هيجان ضد بريطانيا في العراق[٩].

عند تعيين الضابط العراقي مولود مخلص حاكماً عسكرياً لمدينة دير الزور في كانون الثاني ١٩٢٠ أصبحت هذه المدينة قاعدة لانطلاق الضباط العراقيين للعمل الوطني في العراق ؛ وذلك لأنَّ هذه المدينة تتمتع بموقع إستراتيجي يربط العراق وسوريا من جانب وتركيا من الجانب الآخر . وكان طريق الاتصال بين دير الزور وبغداد يمر عبر حلب - الموصل - بغداد ، إضافة إلى طريق آخر عبر القائم - حديثة -الرمادي - الفلوجة – بغداد[١٠].

فمنذ ذلك الحين باشر مولود مخلص اتصالاته مع القبائل العربية في العراق للقيام بثورة ضد البريطانيين ، وقد أوضح ذلك أرنو لد ولسن في مذكراته عن هذا الأمر فقال ((كان مولود منشغلاً في بث الدعاية المعادية ، وقد وصلت رسائله إلى الشيوخ وحتى إلى العمارة في الجنوب وكان على ما يظهر مزوداً بالمبالغ الوفيرة من المال فقد كان يوزعه على رؤساء القبائل الذين يتوسم فيهم القدرة على الاضطراب والقلاقل في منطقة نفوذنا))[١١] وفي نفس المجال أيضاً ، وفي أواخر شباط ١٩٢٠ قررت جمعية العهد في دير الزور الاتصال بعجمي السعدون (**شيخ عشائر ماردين وأطرافها**) والذي كانت له علاقات جيدة مع مصطفى كمال أتاتورك . إذْ كان عجمي السعدون معروفاً بكرهه للإنكليز وقام بهذه المهمة الضابط العراقي تحسين علي العسكري[١٢] . وفي الوقت نفسه أرسل مولود مخلص رسالة إلى جمعية العهد فرع الموصل يُوضَّح فيها بأنَّ البريطانيين لا يعترفون بحقوق أهالي البلاد وأنَّهم لا يخرجون منها بدون قيام ثورة مسلحة ضِدَّهم[١٣].

في ٨ آذار من العام نفسه انعقد المؤتمر السوري في دمشق ونادى بالأمير فيصل ملكاً على سوريا . وفي اليوم نفسه انعقد مؤتمر عراقي في دار نوري السعيد في دمشق وكان أغلب أعضاء المؤتمر من الضباط العراقيين وأعلن استقلال العراق وتولي الأمير عبد الله عرش المملكة الجديدة المزمع قيامها في العراق[١٤] ؛ ولعدم موافقة بريطانيا على ذلك رأى الضباط العراقيون ضرورة القيام بثورة مسلحة ضد البريطانيين في العراق لإرغامهم على القبول بمقررات المؤتمر العراقي ، فقدموا طلباً إلى الملك فيصل يطلبون فيه تزويدهم بالمال والسلاح وإرسال أخيه الأمير زيد معهم ليشرف على العمل العسكري في العراق[١٥] ،رفض الملك فيصل إرسال أخيه ؛لأنَّ ذلك يُعَدُّ عملاً عدائياً من جانب الحكومة العربية ضد بريطانيا لكنه وافق على تزويدهم بالمال فزوَّدهم بثلاثة آلاف جنيه مصري وبعدها تَمَّ تشكيل الهيئة الوطنية ، التي كانت مؤلفة من علي جودت الأيوبي وجميل المدفعي وتحسين علي العسكري وأصبحت مهمتها إدارة العمليات العسكرية في العراق[١٦].

ب – اندلاع ثورة تلعفر

انتقلت الهيئة الوطنية من دمشق إلى دير الزور وعند وصولها أخذت تجهز حملة عسكرية كبيرة لمقاتلة البريطانيين في العراق وقد أخذت الهيئة قراراً بتوجيه تلك الحملة إلى منطقة تلعفر لعدة أسباب وهي[١٧]:

أولاً - إنَّ تلعفر فيها قلعة حصينة تسهل عملية الدفاع عنها بعد السيطرة عليها .

ثانياً -إنَّ عشائر تلعفر معروفة بكرهها للإنكليز وارتباط زعمائها بجمعية العهد .

وبعد اختيار الضباط العراقيين مدينة تلعفر لتكون البداية للاصطدام مع البريطانيين فَكَّروُا بتشجيع سكانها إلى الانضمام للحملة العسكرية التي سيقودونها . لذلك بعثوا إلى جمعية العهد فرع الموصل للقيام بهذه المهمة ، فقد وزَّع هذا الفرع مناشير في ٢٥ نيسان ١٩٢٠ في الموصل وتلعفر يدعو فيها السكان للقيام بثورة ضد البريطانيين المحتلين للبلاد[١٨] . وفي أثناء الإعداد للحملة أقرَّ نظام الانتداب بصورة نهائية في مؤتمر سان ريمو٢٥ نيسان ١٩٢٠م بين فرنسا وبريطانيا وأصبح العراق وفلسطين وشرق الأردن تحت الانتداب البريطاني ، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ، وكان ذلك تطبيقاً لاتفاقية سايكس بيكو المعقودة بين دول الوفاق خلال الحرب العالمية الأولى[١٩] .

عند إعلان الانتداب البريطاني على العراق تأكد الضباط العراقيون من أنَّ بريطانيا تخَلَّت عن وعودها للعرب في الاستقلال والتحرر وأنَّها خدعتهم واستغلَّتْ جهودهم وطموحاتهم في كسب حربها ؛ ولذلك اقتنعوا كل القناعة بأنَّ بريطانيا لا تعترف بحقوق الشعب العراقي إلاَّ من خلال القيام بثورة ضِدَّها فأسرعوا في البدء بالحملة . فانطلقت من دير الزور في ٢٢ أيار١٩٢٠ بقيادة الضابط العراقي جميل المدفعي باتجاه تلعفر وهي تحمل علم الثورة العربية وكتب عليه عبارة ((**الموت أو استقلال العراق**)) وأطلق جميل المدفعي على حملته اسم (**عسكر شريف**) لأنَّ اسم الشريف له منزلة عالية في نفوس أهالي العراق[٢٠]وعندما علمت أحد المجاميع من المتطوعة التي أرسلها مولود مخلص إلى العراق منذ كان حاكماً لدير الزور بقدوم الحملة نحو تلعفر قامت بنسف سكة الحديد وحرق قطار بريطاني قرب منطقة عين زالة جنوب الموصل بهدف قطع الإمدادات العسكرية بين تلعفر وبغداد[٢١].

وصلت أخبار الحملة العسكرية إلى القيادة البريطانية في بغداد وقد صرح وكيل الحاكم الملكي في بغداد آرنولد ولسن عن ذلك الأمر بقوله ((في السادس والعشرين من أيار تسلمنا لأول مرة تقارير جازمة بوجود قوة شريفية حوالي نهر الخابور يقودها جميل بك المدفعي))(٢٢).

أرسل قائد الحملة جميل المدفعي الضابط العراقي عبد الحميد الدبوني إلى عشائر تلعفر لمعرفة موقفها قبل دخول المدينة فوجد أنَّ رؤساء العشائر مستعدون للانضمام إلى الحملة ، وبعد أن علم الحاكم السياسي البريطاني للمدينة **بارلو** Parulo بذلك الأمر استدعى رؤساء العشائر وطلب منهم عدم الانضمام إلى الحملة ، فنصح قسم منهم الحاكم البريطاني أن لم تكن عنده القوة لمجابهة الحملة إمَّا مغادرة المدينة أو طلب نجدات عسكرية من الموصل(٢٣).

وصلت الحملة العسكرية العربية إلى تلعفر يوم ٤ حزيران ١٩٢٠ واستطاع العرب فيها قتل معاون الحاكم السياسي البريطاني **ستيوارت** Stuart ، والقضاء على القوات البريطانية المتحصنة في قلعة تلعفر وبعد يومين من ذلك استطاعت قوات العشائر العثور

على الحاكم السياسي البريطاني (**بارلو**) الذي اختفى بعد دخول الحملة العسكرية فيها ثم قامت بإعدامه أمام القلعة التي سقطت بيد الثوار. وبعد سقوط المدينة بيد الثوار تقدمت قوات بريطانية مدرعة نحو المدينة فقام السكان بوضع حواجز في الطريق الذي تمر فيه هذه القوات مما أدى إلى توقفها وعند ذلك بدأ الهجوم عليها من كل جانب حتى تم القضاء عليها بالكامل(٢٤).

وبالقضاء على هذه القوة تكون تلعفر أول مدينة عراقية تحررت من الاحتلال البريطاني ، فأمر جميل المدفعي قائد الحملة بإنزال العلم البريطاني من فوق دائرة الحاكم السياسي البريطاني ورفع العلم العربي بدلاً عنه ، ثم أمر قواته بالاستعداد للزحف نحو الموصل لتحريرها . وأرسل من أجل هذا الهدف مجموعة مقاتلة إلى منطقة القيارة لقطع الطريق لمنع وصول الإمدادات العسكرية البريطانية القادمة من بغداد إلى الموصل وفي الوقت نفسه أرسل رسالتين الأولى لجمعية العهد يعلمها بقدوم قواته نحو الموصل لتقوم بما يلزم لمساعدة الحملة ، فقامت الجمعية بإرسال مجموعة من الضباط العراقيين إلى الضابط العراقي ومندوب الملك حسين في القاهرة سابقاً محمد شريف الفاروقي الذي كان في الموصل في ذلك الوقت ، فقام بإعطائهم الخطط العسكرية في سبيل إنجاح الثورة ، أما الرسالة الثانية فتم بعثها إلى الحاكم البريطاني (**نولدر**) في الموصل يطلب منه مغادرة المدينة لأنَّ ذلك أفضل من إراقة الدماء ، إلاَّ أنَّهُ رفض ذلك الطلب(٢٥).

وفي ٧ حزيران ١٩٢٠ تحركت القوة العربية بقيادة جميل المدفعي من تلعفر وكانت مؤلفةً من (١٢٠٠) مقاتل فوصلت بعد يوم من مسيرها إلى قرية تويم وكانت هذه القوة ترفع الأعلام العربية ، وقد سبقتها قوات العشائر التي اشتبكت مع القوات البريطانية المجهزة بالمدافع والرشاشات وتساندها الطائرات مما أدَّى إلى هزيمة قوات العشائر وتراجعها وعندما شاهد جميل المدفعي هزيمة قوات العشائر أمر قواته بالانسحاب نحو دير الزور مروراً بجنوب تلعفر(٢٦) . وربما جاء قرار الانسحاب نتيجة تفاوت القوة بين الطرفين فخاف على قواته من التدمير إذْ ربما سيحتاج إليها في معركة قادمة .

وعلى أية حال فإن هزيمة العشائر وانسحاب جميل المدفعي فسح المجال أمام
القوات البريطانية بمواصلة التقدم باتجاه تلعفر ، وقد عبر آرنولد ولسن عن ذلك التقدم بقوله((تحرك رتل من الموصل في الخامس من حزيران وفي التاسع منه وصل إلى تلعفر الواقع على مسافة خمس وثلاثين ميلاً وفي طريقهِ إلى هناك أتلف كثيراً من الحاصل المحصود والذي كانت تعتمد عليه حامية الموصل في إعاشتها وطارد أهالي تلعفر برمتهم البريء والمذنب منهم على السواء إلى داخل الصحراء))(٢٧) .

يبدو أنَّ مسألة التدمير والعقاب الجماعي وحرق المدن من الأساليب التي يستخدمها المستعمر بصفة عامة ضد الشعوب التي ترفض الاحتلال وتقاومه .

ومن خلال ما تقدم يمكن القول بأنَّ ثورة العشرين في العراق كانت بدايتها من تلعفر وليس هي ثورة منفصلة عنها ؛لأنَّهما حدثتا في وقت واحد وهو حزيران ١٩٢٠ ومكان واحد هو العراق . ومن أجل هدف واحد وهو طرد الاحتلال البريطاني من العراق ولذلك فإن ثورة العشرين هي امتداد لثورة تلعفر .

المبحث الثاني
دور الضباط العراقيين وموقفهم من ثورة ١٩٢٠

يعتقد الباحث أنَّ ثورة العشرين في العراق هي امتداد لثورة تلعفر فضلاً عن أنَّها امتداد لثورة دير الزور وأنَّها جاءت كرد فعل للاحتلال البريطاني المباشر للعراق ، والأساليب التي أستخدمها في إدارة شؤون البلاد فضلاً عن تضافر عوامل خارجية وداخلية ساعدت على اندلاع الثورة ومنها :

أ ــ الأسباب غير المباشرة لثورة ١٩٢٠ :

أولاً- العوامل الخارجية .
ثانياً- العوامل الداخلية .

اولاً- العوامل الخارجية وتتمثل بما يأتي :

(١) - إنَّ أهمَّ العوامل الخارجية التي دفعت العراقيين للثورة هي نقض بريطانيا لوعودها التي قطعتها للعرب في منحهم التحرر والاستقلال وقيام دولة عربية مستقلة . وعلى هذا الأساس فقد أعلنوا ثورتهم ضِدَّ العثمانيين عام ١٩١٦م فبدلاً من ذلك طبقت بريطانيا وفرنسا اتفاقية سايكس بيكو وجزَّأتِ الأمة العربية وقطعت أوصالها(٢٨)

(٢) - تنصَّلَ البريطانيين والفرنسيين عن وعودهما للشعب العراقي والسوري في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨ باستقلالها وفق رغبات شعب البلدين(٢٩) .

(٣)- قيام مملكة عربية في سورية تحت حكم الملك فيصل وانعكاسات ذلك الموقف على أوضاع العراق الداخلية(٣٠) .

(٤) - خيبة آمال الشعوب الراغبة في الاستقلال ومنها الشعب العراقي في وعود الرئيس الأمريكي ولسن التي أصدرها في كانون الثاني ١٩١٨ في حق الشعوب في تقرير مصيرها[٣١].

(٥) - دعوة المؤتمر العراقي الذي عقد في دمشق في ٨ آذار ١٩٢٠م والذي نادى بالأمير عبد الله ملكاً على العراق فقد أراد العراقيون تحقيق الاستقلال وإعلان الملكية من خلال القيام بثورة شاملة ضد البريطانيين[٣٢] .

(٦) – التطورات السريعة التي جرت في تركيا وإيران وقيام الثورة المصرية عام ١٩١٩م .

ثانياً - العوامل الداخلية :

وبقدر ما كان للعوامل الخارجية دور فاعل في قيام الثورة فهناك عوامل داخلية حملت العراقيين للقيام بهذه الثورة والمتمثلة بما يأتي :

أولاً - بيان الجنرال مود للعراقيين في ١٩ آذار ١٩١٧ بعد دخول قواته مدينة بغداد والذي وعد فيه العراقيين بالتخلص من السيطرة العثمانية وتحرير بلادهم ((أن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بصفتهم قاهرين أو أعداء بل بصفتهم مُحَرَّرين))[٣٣].

ثانياً - سوء تصرف الإدارة البريطانية في العراق والتشديد في الحكم المباشر للعراق والعمل على ربط القسم الجنوبي من العراق بحكومة الهند[٣٤].

ثالثاً - ضغط البريطانيين الاقتصادي على الشعب العراقي فقد كانوا يفرضون ضرائب ثقيلة جداً ، واستخدام الأساليب القمعية عند عدم امتثال الناس لدفع الضرائب فقد أوضحت المس بيل في رسائلها عن تلك الأساليب عندما ضربت مثلاً على أحد عشائر الفرات الأوسط بقولها ((أن القبائل هناك من أكثر العشائر تَمرُّداً فقد كان الأتراك عاجزين اتجاهها ولم يكونوا يحصلون ولا بنسا واحداً من المنطقة بصفة ضرائب مدة سنيين عديدة، إنمَّا نحن فقد استطعنا أن نستحصل على ما نريده منها بالتمام وحينما كان الشيوخ يبدون أيّة مقاومة كنا نقصف قراهم بالقنابل على أنَّهم أشرار))[٣٥] . فإذا كان الذي ترمى عليه القنابل وعلى رؤوس أطفاله ويدمر بيته شريراً فإنّ الذي يقوم بذلك ماذا يسمى هل هو محرر؟

رابعاً - إعلان الانتداب البريطاني بموجب مؤتمر سان-ريمو في ٢٥ نيسان ١٩٢٠ على العراق والشروع في تطبيق اتفاقية سايكس بيكو فقد كان لهذا الأمر الأثر البالغ في تأجيج الغضب ضِدَّ بريطانيا[٣٦] .

خامساً- تطور الحركة الوطنية في العراق وحماسها لنيل الاستقلال التام والتخلص من السيطرة العثمانية أو الحكم البريطاني بفضل الجهود العالية التي بذلها الضباط العراقيون عن طريق الجمعيات السرية والعلنية كما مر بنا سابقاً ، أو عن طريق الاتصال بشيوخ العشائر وضَمَّها للثورة .

بعد تضافر جميع العوامل الداخلية والخارجية التي هيئت لإعلان الثورة بدأت جمعيتا حرس الاستقلال والعهد بالإعداد للثورة فقد كان جمعية حرس الاستقلال تضم مجموعة من الضباط العراقيين والمقيمين في بغداد ومنهم ناجي شوكت ، محمود رامز ، محيي الدين السهر وري ، عبد الغفور البدري ، سعيد حقي وآخرون غيرهم[٣٧] .

أما جمعية العهد فقد كانت تضم مجموعة من الضباط العراقيين نذكر منهم رشيد الخوجة ، عبد الغفور البدري ، وفضلاً عما ذكر سابقاً من شخصيات وقد أوضح علي البرزكان دور أعضاء جمعية العهد ولا سيما دور الضباط العراقيين المقيمين في دمشق في أثناء زيارتهم للعراق حينما قال ((إنَّ جميل المدفعي قد وزع ٧٠٠ ليرة تركية في بغداد و٦٠٠ ليرة أخرى في الموصل))[٣٨] .

أما جمعية حرس الاستقلال وبعد إعلان الانتداب على العراق قامت بإحياء الذكر النبوي في مناطق بغداد ، فكانت تحث الناس من خلال ذلك على المقاومة والجهاد ضد البريطانيين ، ثم قامت بالاتفاق مع جمعية العهد ومجموعة من رجال الدين بتشكيل وفد يمثل الحركة الوطنية العراقية والسفر إلى مناطق الفرات الأوسط لتحريض القبائل على معارضة الانتداب والعمل من أجل الإعداد للثورة[٣٩] . وفي ٢٤ أيَّار عقدت جمعية حرس الاستقلال مهرجاناً في منطقة الميدان ببغداد وقد شهد هذا المهرجان إلقاء الخطب والقصائد الشعرية التي ألهبت حماس الناس على مقاومة الاحتلال البريطاني[٤٠] .

وفي اليوم الثاني لذلك المهرجان اعتقلت السلطات البريطانية أحد الشعراء المشاركين في ذلك المهرجان ويدعى (**عيسى عبد القادر**) ، وهو موظف في دائرة الأوقاف بسبب إلقائهِ قصيدةً محرَّضَةً على المقاومة . وقد عبرت المس بيل في كتابها فصول من تاريخ العراق القريب عن ذلك الآمر بقولها ((إنَّ الذي ألقاه في الاجتماع كان فيه خطورة على الأمن العام))[٤١] وعلى أثر سماع ذلك الخبر اجتمع عدد كبير من المتظاهرين في جامع الحيدر خانة تحدِّياً للسلطات البريطانية فقامت القوات البريطانية بالهجوم على المجتمعين وعبرت المس بيل عن ذلك الهجوم ((كان اجتماع في الجامع الكبير (**الحيدر خانة**) فضن فرانك[٤٢] أن الاجتماع هو تحشد خطر فبعث بسيارتين مصفحتين للقيام بواجب الدورية في الشارع وقد رمي أحد السائقين بالحجارة واضطر إلى التراجع فهاجمتهُ الجماهير لكنه أطلق بعض الطلاقات فوق رؤوس الناس ودهس أحدهم فلاذ الحشد المتجمهر بأذيال الفرار.... وأصبحت الشوارع خالية في ظرف ثانية من الزمن))[٤٣] .

وهذه العملية هي ضمن الأساليب التي يستخدمها المحتل في تبرير هجومه على الناس الأبرياء العزل بحجة أن قواته تعرضت للهجوم مما استدعى الرد وبذلك أصبح الضحية هو المتعدي ، وكما يلاحظ أيضاً على رسائل المس بيل أنها تمثل وجة المحتل الذي دائما يحاول التقليل من شأنِ الحركة الوطنية ونعتها بأوصاف لا تليق بها .

بعد هذه الحادثة قدمت الحركة الوطنية عبر ممثليها مجموعة من الطلبات إلى وكيل الحاكم الملكي البريطاني في بغداد وذلك في ٢٨ أيار ١٩٢٠ ، وتمثلت هذه المطالب في تشكيل مؤتمر يمثل الشعب العراقي لتقرير مصيره ورفع الحواجز الموضوعة في كافة أنحاء القطر

والسماح بحرية المطبوعات إلاَّ أنَّ آرنولد ولسن اخبر أعضاء الوفد بأنَّهُ عازم على تطبيق الانتداب البريطاني على العراق(٤٤) وقد أدرك ولسن خطأ الأسلوب الذي تعاملَ به مع وفد الحركة الوطنية بقوله ((توصلت في ضوء الحوادث التي وقعت بعد ذلك إلى أن هذا التدبير كان خطأً فاحشاً صدر مِنِّي في الحكم فقد أخطأت في تقدير التأثير الذي يمارسه الوطنيون وفي مقدار تأثر الناس))(٤٥).

ب – السبب المباشر لثورة ١٩٢٠ وأحداثها :

كان السبب لاندلاع هذه الثورة هو قيام **الميجر ديلي** Daly الحاكم السياسي للواء الديوانية باعتقال شعلان أبو الجون شيخ عشيرة الضوالم ، من قبيلة بني حجيم في الرميثة بحُجَّة أنَّ عليه ديناً زراعياً فهجم أتباعه في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ على السجن وقتلوا حراسه(٤٦) وبعدها قام أهالي الرميثة بمهاجمة سكك الحديد جنوب المدينة وهدموا جسراً لسكة الحديد فبدأت القوات البريطانية ترسل النجدات من السماوة والديوانية والحلة فوصلت سرية بقيادة الضابط **براك** Bragg من الحلة يبلغ عددها أربع ضباط ٣٠٨ جندي انضمت إلى القوة الموجودة في الرميثة فأصبح عددها ٥٢٧ مقاتلاً(٤٧).

بدأت العشائر الثائرة بمحاصرة الحامية البريطانية في الرميثة في ٤ تموز وقطعت خطوط المواصلات والسيطرة على قطارات النجدة مِمَّا أدَّى إلى انقطاع التمويل عن الحامية بواسطة البَرّ ، مما دعا القوات البريطانية إلى تموين قطعاتها بواسطة الطائرات بإلقاء التموين من الجو . إلاَّ أنَّ هذه الوسيلة أصبحت غير مجدية لأنَّ الثوار بدأوا بمهاجمة الطائرات واستطاعوا إسقاط طائرة(٤٨) .

وإزاء هذا الحصار الخانق للحامية البريطانية بدأت بمهاجمة أسواق المدينة والاستيلاء على بعض المؤن وقتل كل من يعترض سبيلها ، وظلَّتْ الحامية محاصرة حتى ٢٠ تموز إذْ استطاعت القوات البريطانية إنقاذ الحامية بعد أن تكبدت خسارة كبيرة في الأرواح بلغت ٣٣٠ قتيلاً بين جندي وضابط(٤٩) إلاَّ أنَّ الثورة أخذت تمتد إلى المناطق المجاورة ، وأهم تلك المناطق السماوة إذْ كان فيها قبل اندلاع الثورة قوة بريطانية مؤلفة من سريتين ونصف ، ثم عززت بمفارز من الناصرية لمواجهة أيّة حركة . وعهدت قيادتها إلى الجنرال **هاي** Hay وبدأت الثورة في السماوه بقيام العشائر بمحاصرة الحامية البريطانية وقد ظنّ العسكريون والسياسيون البريطانيون بأنَّ مجموعة من الضباط شاركت في التخطيط وتنفيذ ذلك الحصار وقد صرح آرنولد ولسن قائلاً ((في الرابع من تموز بدأت محاصرة السماوه وكانت العشائر تستخدم في هذا تاكتيك الخنادق بأسلوب لم يدع مجالاً للشك بأنَّها كان يرشدها ضباط أتراك))(٥٠) .

أما المس بيل فقد قالت ((كان هناك ضباط سابقون موجودون اشتغلوا بالجيشين العربي والتركي التحقوا بالثوار من بغداد ودير الزور))(٥١)

وأوضح السر المر هولدين Sir Almur Halden قائد القوات البريطانية في العراق عن ذلك الأمر بقوله ((وتراءت في يوم الرابع بوادر فرض الحصار على القوة ونمي إلينا أن العرب يحفرون الخنادق في الشمال الغربي من البليدة وأنهم ينقلون قواتهم بانتظام لإسعافها ولعل ذلك يدل على الضباط الأتراك السابقين كانوا يتولون السيطرة عليهم))(٥٢) .

إنَّ اعتقاد كل من ولسن ومس بيل والسر المر هولدين بوجود ضباط وراء حصار السماوة هو اعتقاد صحيح ولكن ليسوا ضباطاً أتراكاً وإنما ضباط عراقيون وعلى رأسهم الضابط العراقي وعضو جمعية العهد سامي النقشلي(٥٣) ، الذي قام برسم خطة حفر الخنادق وعلَّمَ الثوار على كيفية استخدام القنابل اليدوية في مهاجمة البريطانيين(٥٤) فضلاً عن ذلك قام سامي النقشلي ومجموعته بإسقاط طائرة بريطانية ومحاصرة السفينة البريطانية (**كرين فلاي**) حتى أرغم من فيها على التسليم في ٣ تشرين الأول ١٩٢٠ بعد أن ضَمِنَ لهم بعدم مَسَّهم بأيَّ أذى(٥٥) ، وبعد سبعة عشر يوماً وافق الثوار على إنهاء القتال في السماوة على أثر عقد أتفاق مع القوات البريطانية تضمن مجموعة من البنود وهي(٥٦) :

أولاً – أن تكون للعراق حكومة عربية مستقلة .
ثانياً - ألاَّ تطالب بريطانيا العشائر بأيَّةِ ضرائب لعام ١٩٢٠ لما لحق بها من أضرار
ثالثاً - تتعهد العشائر بحماية سكة الحديد التي تَمرُّ بمناطقهم .
رابعاً - تتعهد العشائر بتسليم ٢٤٠٠ بندقية إلى الحكومة البريطانية .

ولم تقتصر الثورة على مناطق الفرات الأوسط وإنَّما نقلتها الفصائل الجهادية إلى المناطق الأخرى والأكثر إستراتيجية وهي مدينة عنة فقد زحفت عليها حملة عسكرية يقودها الضابط العراقي عارف قحطان من منطقة البوكمال ، بعد أن زودهم قائم مقام هذه المنطقة الضابط العراقي عبد الرزاق منير التكريتي بالأموال كما زودهم الضابط العراقي علي جودت الأيوبي بكمية كبيرة من الأسلحة التي عادت بها حملة تلعفر(٥٧) وقسمت الحملة على عنه على مجموعتين الأولى مجموعة الخيالة وكانت تحت قيادة الضابط العراقي عبدا لله السلامي ، والثانية مجموعة الرشاشات بقيادة الضابط العراقي كامل شبيب ثم تبعتها حملة أخرى بقيادة الضابط العراقي حامد المدفعي وانضمت إليه عشائر العكيدات برئاسة شيخها مشرف الدندل ، وعشائر الدليم برئاسة نجرس الكعود ، ثم تبعهم قائم مقام البو كمال عبدا لرزاق منير التكريتي وهو يقود قوة عسكرية وكانت أول قوة دخلت مدينة عنه هي قوات عشائر الدليم برئاسة نجرس الكعود ثم تبعته قوات عسكرية بقيادة حامد المدفعي ، وتم تعيين شيخ عشائر الدليم قائم مقام عليها وتعيين حامد المدفعي قائداً للقوة العسكرية فيها وذلك في ١٥ أب ١٩٢٠(٥٨) وبعد وصول جميع القوات إلى مدينة عنه قرر الضباط العراقيون التقدم نحو مدينة حديثة يساعدهم في ذلك أهالي المدينة حتى استطاعوا السيطرة عليها ثم باشروا بالزحف نحو مدينة هيت والتي هي الأخرى تَمَّ تحريرها وطرد البريطانيين منها(٥٩).

اندلعت الثورة في المناطق المحصورة بين بغداد و الفلوجة على أثر قيام الشيخ ضاري شيخ قبيلة زوبع بقتل الحاكم البريطاني الكولونيل لجمان جيرالد افيلن J . E. Leachman في ١١ أب ١٩٢٠[٥٠] . وقد استطاع أنصار الشيخ ضاري قطع طريق بغداد الفلوجة من خلال نسف سكة الحديد لمنع تقدم القوات البريطانية باتجاه مناطق الثورة وبذلك أصبح موقف الحاميات البريطانية في الرمادي والفلوجة صعباً جداً ، مِمَّا دفع الثوار لمواصلة تقدمهم من مدينة هيت باتجاه الرمادي ، وبما أن طريق بغداد قد قطعه الثوار قامت القوات البريطانية بإرسال تعزيزات عسكرية من مدينة الرمادي من خلال ثلاثة بواخر محملة بالأسلحة والمؤن إلاَّ أنَّ الثوار استطاعوا السيطرة عليها وحرق السفن[٦١].

وبهذه العملية أمكن الثوار حصارهم للحاميات البريطانية في الرمادي والفلوجة من جميع الجهات حتى ٧ أيلول ١٩٢٠م إذْ استطاعت القوات البريطانية فك الحصار عن الفلوجة وفي أواخر كانون الأول من العام نفسه ثم استطاعت إعادة سيطرتها على مناطق أعالي الفرات خلال المدة نفسها[٦٢] .

وبدأت الثورة في مدينة الكوفة ١٣ تموز ١٩٢٠ على اثر رفض السلطات البريطانية مطالب أهالي الكوفة في منح العراق الاستقلال التام وإيقاف القتال في الرميثة . وتخلي الحكام البريطانيين عن المناصب الإدارية وإطلاق سراح المعتقلين[٦٣]، وفي ٢٢ من الشهر نفسه استطاع الثوار قتل الكابتن **مان** Mann مساعد الحاكم البريطاني في الكوفة إضافة إلى تدمير احد السفن البريطانية التي كانت راسية بالقرب من المدينة وقد أرسلت القوات البريطانية قوة عسكرية بقيادة الضابط (**هارد كيستل**) لفك الحصار عن الحامية المحاصرة[٦٤] وكانت هذه القوة مؤلفة من أربعة سرايا مع بطارية مدفعية وعندما وصلت إلى منطقة الرستمية بدأ الثوار بمهاجمتها وذلك مساء ٢٤ تموز من العام نفسه وقد استطاع الثوار إلحاق الهزيمة بهم واضطر قائد القوة إلى التراجع إلى الحلة بعد أنْ فقد نصف قواته[٦٥] وقد قدرت خسائر القوات البريطانية في هذه المعركة بـ(١٨٠) قتيلاً و(١٦٠) أسيراً و(٦٠) جريحاً فضلاً عن الخسائر المادية إذْ فقدت كثيراً من أسلحتها الرشاشه ومدافعها الثقيلة[٦٦] .

أما في النجف وكربلاء فقد انسحبت القوات البريطانية منهما في ٢٠ تموز وتَمَّ تأسيس إدارات مدنية فيهما ، وقد استطاعت القوات البريطانية من إعادة سيطرتها على الكوفة والنجف وكربلاء في أواخر تشرين الأول ١٩٢٠[٦٧] .

بعد الخسائر التي تكبدتها القوات البريطانية في موقعة الرستمية قررت القيادة البريطانية في العراق سحب قواتها من الديوانية إلى الحلة بواسطة القطار وقد تولى القائد **كونيغهام** Contickham قيادة القوات المنسحبة وذلك في ٣٠ تموز ١٩٢٠ وبعد أن قطع مسافة ١٩ ميلاً فقط اضطر إلى التوقف ؛ وذلك لأن الثوار قاموا برفع قطعة من سكة الحديد[٦٨] ، وقد ردت القوات البريطانية على ذلك الأمر بمهاجمتها القرى القريبة من السكة وقد عبر السير المر هولدين عن تلك الحادثة بقوله ((لقد أحرقنا القرى القريبة من الخط أما البقية الباقية فأصليناها بوابل من قذائف المدفعية))[٦٩] .

ويبدو لنا أنَّ ذلك الأمر نتج عن سببين الأول :هو الشعور بالإحباط ومرارة الهزيمة والثاني هو الإفصاح عن حقيقة المحتل التي أراد إخفاءها وراء شعارات الحرية والتحرير. تحرك القطار للمرة الثانية بعد إصلاح سكة الحديد وعند الشامية هجم الثوار عليه مرةً أخرى وكادوا يستولون عليه لولا تدخل الطائرات التي أنقذت القطار من أيدي الثوار ، وظَلَّ بين المسير والتوقف حتى وصل الحلة في ٩ أب ١٩٢٠[٧٠] .

وفي ٣٠ تموز ١٩٢٠ اتفقت القبائل العربية المحيطة بمدينة الحلة على الهجوم على الحامية البريطانية فيها وبالفعل باشرت العشائر هجومها على الحامية إلاَّ أنَّها لم تستطع السيطرة عليها ويعود سبب الفشل إلى ارتداد بعض زعماء العشائر عن المعركة لأنَّهُ كانت لديهم ارتباطات وعلاقات مع البريطانيين[٧١] .

اندلعت الثورة في سامراء كما هو حال المدن العراقية الثائرة وذلك بعد أن اتفق زعماء العشائر فيها على مهاجمة الحامية البريطانية وذلك في أواخر تموز ١٩٢٠[٧٢] ، وتمت محاصرة الحامية البريطانية وقدم زعماء العشائر شروطهم إلى الحاكم السياسي للمدينة الميجر **بري** Pray وتضمنت ما يأتي[٧٣] :

أولاً - إقامة حكومة عربية في سامراء .

ثانياً - تسليم جميع الموظفين والجهاز السياسي والمدني إلى الثوار .

ثالثاً - تسليم جميع أموال الحكومة البريطانية في سامراء .

وبعد دراسة هذه الشروط من قبل الحاكم السياسي البريطاني أوشك على الموافقة عليها لولا خيانة أحد زعماء العشائر ووقوفه إلى جانب البريطانيين مِمَّا أدَّى إلى فشل الثورة[٧٤] .

واندلعت الثورة في ديالى بقيادة حبيب الخيزران شيخ قبيلة العَزَّة وذلك في ١٢ أب ١٩٢٠ وقام الثوار في ديالى بقطع سكة الحديد التي تربط بين خانقين وبغداد كما استطاعوا السيطرة على مدينة دلتاوة (**الخالص**) وشهربان وبعقوبة[٧٥] . وقد استطاع السير المر هولدين قائد القوات البريطانية إعادة سيطرته على مدن ديالى في ٣ أيلول ١٩٢٠ على اثر رضوخ قادة الثورة لتهديداته بتدمير وحرق المدن والقرى إذا لم يتوقف القتال فيها[٧٦] .

سرت الثورة إلى مدينة كركوك فقد استطاع الثوار قتل الحكم البريطاني لقضاء كفري **سلمون** Salmon ، في ٢٦ أب و انتقلوا لمحاصرة الحامية البريطانية في كركوك وعلى اثر ذلك اندلعت الثورة في أربيل واستطاع الثوار قتل (**ليتل ديل**) الحاكم البريطاني فيها[٧٧] .

وبعد انتهاء الثورة في جميع المدن العراقية علينا أنَّ نشير أولاً إلى خسائر البريطانيين خلال الثورة ومن المصادر البريطانية ومن ثم المصادر الأخرى ، فقد ذكر قائد القوات البريطانية في العراق السير المر هولدين أن خسائر جيشه نتيجة الثورة بلغت (٣١٢) في أثناء المعارك ، و(١١٣) ماتوا متأثرين بجروحهم فأصبح عدد القتلى (٤٢٥) قتيلاً، وبلغ عدد المفقودين (٤٥١) جندياً وعدد الأسرى (١٦٤) أسيراً وعدد الجرحى (١٢٢٨)

جريحاً ، وأوضح هولدين عدد الذين استشهدوا من العراقيين قد بلغ عددهم (٨٤٥٠) مواطناً[٧٨] . أما محمد مهدي البصير فقد أوضح أن خسائر الجيش البريطاني من ٢ تموز – ١٧ تشرين الثاني (١٩٢٠) بلغت (٢٢٦٩) بين قتيل وجريح[٧٩] .

ج – موقف بعض الضباط العراقيين من الثورة

مع تباين وقائع الثورة العراقية الكبرى ودور الضباط العراقيين في الجيش العثماني السابق فيها من حيث القيادة والإعداد للثورة بالمال والسلاح ، لكن هناك بعض الاتهامات لبعض الضباط بموقفهم السلبي من الثورة وخاصة من الضباط الكبار والمؤسَّسين لجمعية العهد العسكرية ومنهم نوري السعيد ، جعفر العسكري ، علي جودت الأيوبي ، وسنقوم بتوضيح تلك الاتهامات والرد عليها وفق الأحداث التاريخية .

اولاً– موقف نوري السعيد من الثورة :

ذكر عبد الله فياض في كتابه الثورة العراقية الكبرى قائلاً ((كان معظم العراقيين العاملين في المؤسسات السياسية المكونة خارج العراق كجمعية العهد وغيرها ومن ضباط الجيش العثماني الذين التحقوا بالشريف حسين ثم بالملك فيصل بسورية ولم يرجعوا للعراق إلا بعد تكوين الحكومة العراقية الحديثة لسنة ١٩٢١ لذا كان إسهامهم في الحركة الوطنية قبل الثورة وفي أثنائها محدوداً وغير مباشر يضاف إلى ذلك أن بعض أقطابهم أمثال الجنرال نوري باشا السعيد وقف موقف المناوئ للثورة ؛ لأنها تخالف اتجاهه السياسي والعمل للقضية العربية العامة والقضية العراقية خاصة ضمن إطار التعاون مع بريطانيا العظمى)) . وقد استند عبد الله فياض في ذلك على تقرير أرسله المؤتمر العراقي من دمشق في ٢٩ حزيران ١٩٢٠ إلى زعماء النجف والشامية يحذرهم من نوري السعيد الذي ربما سيزور العراق من أجل تثبيت أركان الاحتلال[٨٠] ، ولا ندري إذا كانت هناك وثائق لدى السيد عبد الله فياض قد اطلع عليها بهذا الخصوص ولم يعرضها لنا .

إمَّا غسان العطية فقد ذكر موقف الجنرال نوري السعيد من الثورة من خلال رسالتين الأولى من وزير خارجية بريطانيا إلى حكومته يعلمها بأن نوري السعيد قد عرض مساعدته للحكومة البريطانية في قمع الثورة[٨١] . من الملاحظ عن هذه الرسالة أنَّ الوزير البريطاني عرض خدمة نوري السعيد للحكومة البريطانية في قمع الثورة ولم يعرض شرط نوري السعيد مقابل ذلك هذا من جهة ومن جهة أخرى لم تذكر الرسالة الوسيلة التي سيستخدمها نوري في قمع الثورة والكل يعلم أن بريطانيا وبكل ما تملك من أسلحة لم تستطع إنهاء الثورة إلا بعد قرابة خمسة أشهر وبعد تكبدها خسائر بشرية ومادية ثقيلة فكيف لنوري السعيد وبمفرده يستطيع قمع الثورة .؟

أمَّا الرسالة الثانية فكانت من وزير الدولة البريطاني إلى المندوب السامي البريطاني في العراق جاء فيها ((إذا كنا نريد الانتفاع من جمعية العهد ضمن المرغوب فيه أن لاَ نرجئ مبادرتنا لحين انضمام أعضاء بارزين مثل نوري السعيد إلى أعدائنا))[٨٢] يمكن أن نلاحظ أمرين أيضاً من خلال هذه الرسالة ، الأول أن وزير الدولة البريطاني يحث المندوب السامي إلى المبادرة للانتفاع من جمعية العهد وليس جمعية العهد هي التي بادرت لينتفع البريطانيون من خدمتها هذا فيما إذا وافقت جمعية العهد على ذلك والأمر الثاني هو اعتقاد الوزير البريطاني بأنَّ نوري السعيد سينضمُّ إلى أعداء بريطانيا وهم الثوار .

ثانياً – موقف جعفر العسكري من الثورة :

هناك بعض المصادر تتهم جعفر العسكري بوقوفه ضد الثورة ومن تلك الاتهامات ما ذكره كتلوف في كتابه ثورة العشرين حينما قال ((إنَّ فئاتٍ كثيرةً كانت ترتبط في السابق بالحركة الوطنية أصبحت تقف تدريجياً موقفاً سلبياً من الثورة فقد أثبت العهديون عملياً وقوفهم إلى جانب المستعمرين الإنكليز في حربهم ضد الشعب العراقي فقد أرسل جعفر العسكري أحد زعمائهم التماساً إلى السلطات الاستعمارية في بغداد يؤكد فيه رغبته في الانضمام إلى الخدمة العسكرية للمحتلين))[٨٣].

إنَّ الذي اعتمد عليه كتلوف في توجيه اتهامه إلى جعفر العسكري هو رسائل المس بيل حينما قالت في ٤ تموز ١٩٢٠ ((هناك حادث واحد يبشر بالخير فقد تسلمنا من أللنبي رسالة يحثنا على السماح لجعفر باشا العسكري بأنَّ يحضر إلى هنا[٨٤] ليشرح وضع حكومة فيصل فسلمها لي ولسن فأجبته بأنَّ ذلك يَعَدَّ فرصةً حسنةً فقد كان ما فعلته سوريا أساساً للاضطراب الحاصل عندنا وسوف لا نستطيع التقدم إلى الأمام ما لم نتفق مع فيصل ونعامله معاملة الرجل للرجل))[٨٥] .

ومن خلال تصريحات المس بيل لا يوجد اتهام لجعفر العسكري بأنَّ موقفه كان سلبياً من الثورة بل على العكس إنَّ فيه اعترافاً بأنَّ الأحداث الجارية في العراق جاءت بتأثير من سوريا وقد بَيَّنَّا في المبحث السابق دور الضباط العراقيين في أحداث دير الزور وتلعفر التي كانت البداية والأساس لأحداث العراق .

ثالثاً – موقف علي جودت الأيوبي من الثورة :

هناك من يوجه أصابع الاتهام إلى شخصيات أخرى في جمعية العهد فقد ذكر السيد علي البرزكان في كتابه (**الوقائع الحقيقية**) أنَّ علي جودت الأيوبي أرسل في ٢٠ أب ١٩٢٠ إلى الثوار في العراق يطلب منهم إرسال عشرة آلاف ليرة مقابل مشاركته وقواته المزودة بالمدافع والرشاشات والعتاد في الثورة[٨٦] ، وقد رد علي جودت الأيوبي على ذلك الاتهام من خلال رسالة بعثها إلى عبد الرزاق الحسني في ٢٩ نيسان ١٩٦٣ عندما سأله الأخير عن ذلك الاتهام فقد كذب علي جودت الأيوبي ذلك لسببين : الأول ؛ لأنَّهُ ليس من المعقول أن يطلب مبلغا كهذا من الثوار وهم بأمس الحاجة إلى الأموال وهم يقومون في عمل مقدس ، وذكر موقفه في أحداث دير الزور والإعداد لحملة تلعفر ، أمَّا السبب الثاني لتكذيب ذلك الخبر بأنَّ البرزكان لم ينشر تلك

الرسالة التي بعث بها وقد نسب علي جودت الأيوبي تلك الاتهامات إلى أسباب شخصية بينهما(٨٧).

وفي النهاية نحن ليس بصدد الدفاع عن وطنية أو اتهام هذا أو ذاك من الضباط العراقيين وإسهاماتهم في الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠م أو غيرها من الأحداث الهامة والمصيرية ذات الأثر الكبير والتي قررت مستقبل الحياة السياسية في العراق الملكي ، وإنما يجب أن تكتب الحقائق التاريخية التي تدل على صدق وإخلاص هؤلاء الضباط في التفاني من أجل أُمتِّهم العربية والإسلامية ، عندما كانوا شركاء الأتراك العثمانيين في الحروب ، التي خاضتها الدولة العثمانية مع أعدائها ومخلصين لقضيتهم المصيرية القومية والوطنية ، عندما أنضمَّوا إلى معسكر الحلفاء وحاربوا العثمانيين ، ومن ثم حربهم مع الاستعمار الفرنسي والبريطاني بعد أن تبينت نواياهم تجاه العرب .

فلم يكونوا حسب اعتقادنا صنيعةً لأحدٍ ضد مصالح أمتهم وضد القومية والوطنية وقد تبين ذلك من خلال العمليات العسكرية في أثناء الحرب العالمية الأولى ، كيف قاتل جعفر العسكري في شمال أفريقيا وياسين الهاشمي في أوروبا إلى جانب العثمانيين وكيف ساهم مولود مخلص وعلي جودت الأيوبي في ثورة دير الزور، وكيف تمرَّدَ نوري السعيد وجعفر العسكري ومولود مخلص على أوامر الأمير فيصل أثناء العمليات العسكرية التي قادها جيش الثورة العربية ، عندما وجدوا أنَّ الثورة تسير في غير الطريق المرسوم لها من قبل القادة العرب .

فيجب أن لا نطلق الأحكام جُزافاً ونحن نعيش تاريخاً صعباً وشاقاً الآن ، فيجب الإقتداء بكل السياسيين والعسكريين الذين استطاعوا تحويل العراق من دولة محتلة مفروض عليها الانتداب إلى دولة مستقلة وذات سيادة .

المبحث الثالث
دور الضباط العراقيين في الحكومة العراقية المؤقتة ١٩٢٠ - ١٩٢١

أ – تشكيل الحكومة المؤقتة :

إنَّ من أبرز نتائج ثورة ١٩٢٠م أنَّها وضعت بريطانيا أمام الأمر الواقع فتخلت عن سياسة الاحتلال المباشر ودعت إلى تأسيس حكومة وطنية مؤقتة تمثل الشعب العراقي وتكون الخطوة الأولى لحكومة دائمة، خاصةً وإنَّ ثورة العشرين كان لها وقعٌ كبيرٌ على السياسة البريطانية كما يقول برسي كوكس ((كنت أنا في بريطانية عند اندلاع الثورة وقد تأثر رجال الحكومة البريطانية بها فقد طالب قسم منهم بوجوب الجلاء عن العراق وإيقاف المصاريف والخسائر التي يتكبدها الشعب البريطاني في العراق ، أما القسم الأخر فقد كان يفضل استخدام العنف في قمع الثورة)) . أما الرأي الذي تقدم به برسي كوكس للحكومة البريطانية في معالجة ثورة العراق هو تأسيس حكومة وطنية مع بقاء القوات البريطانية هناك لعدم إمكانية الانسحاب من العراق ؛ لأنَّ ذلك يعني التَخلِّي عن الانتداب وخسارة رؤوس الأموال البريطانية المستخدمة في العراق والمقدرة بثمانية ملايين باون وأن الانسحاب يعني عودة السيطرة العثمانية على العراق(٨٨).

أمَّا المس بيل فقد ذكرت إنَّ الحلَّ لإنهاء ثورة العراق هو تأسيس حكومة وطنية فيه طبقا للوعود البريطانية للعراقيين حينما قالت ((إننا قد وعدنا بتأسيس حكومة عربية لها مستشارون بريطانيون لكننا أسسنا حكومة بريطانية لها مستشارون عرب))(٨٩) .

اقتنعت الحكومة البريطانية بمقترحات برسي كوكس ولذلك كلفته بالعودة إلى العراق بصفة مندوب سامٍ للعراق، لما يتمتع به من سابق خبرة ومعرفة واسعة من العراقيين فقد وصل إلى بغداد في ٥ تشرين الأول ١٩٢٠م ليحل محل السير آرنولد ولسن وباشر برسي كوكس عمله من أجل تأسيس حكومة عراقية مؤقتة وإعادة المفصولين من وظائفهم التي كان يشغلوها أثناء الحكم العثماني(٩٠) .

لقد واجهت برسي كوكس في تشكيل الحكومة مشكلتين الأولى ، هي استمرار هجمات العشائر على القوات البريطانية والمشكلة الثانية إيجاد الشخص المناسب لتولي رئاسة الحكومة(٩١) . ومن أجل إيجاد ذلك كَثَّفَ برسي كوكس لقاءاته برؤساء العشائر والجمعيات ورجال الدين والتقى أيضاً بالشخصيات البريطانية الموجودة في العراق من أجل ذلك الأمر(٩٢) .

وفي الوقت نفسه قام بإرسال مجموعة من الرسائل إلى بعض الشخصيات العراقية الموجودة خارج العراق دعاها للعودة للمشاركة في الحكومة العراقية ، ومن هذه الشخصيات جعفر العسكري فقد أرسل إليه رسالة عندما كان مع الأمير فيصل في القاهرة يطلب منه العودة إلى بغداد وبعد أن استأذن جعفر العسكري من الأمير فيصل عاد إلى بغداد فوصل إليها في ٢٢ تشرين الأول ١٩٢٠(٩٣) .

وبعد المشاورات المكثفة التي أجراها برسي كوكس مع زعماء القبائل العربية ورؤساء الجمعيات والشخصيات البريطانية في العراق نجح في إقناع عبد الرحمن النقيب الكيلاني(٩٤) .

لتولي رئاسة الحكومة المؤقتة وتألفت الوزارة في ٢٥تشرين الأول من العام نفسه فكانت برئاسته وعضوية الوزراء الآتية أسماؤهم(٩٥) :

أولاً – طالب النقيب – وزير للداخلية .
ثانياً – ساسون حسقيل – وزير المالية.
ثالثاً – مصطفى الألوسي – وزير للعدل .
رابعاً – جعفر العسكري – وزير الدفاع .
خامساً – عزت الكركوكلي – وزير الأشغال العامة .
سادساً – محمد مهدي الطبطبائي – وزير النافعة والصحة .
سابعاً – عبد اللطيف المنديل – وزير التجارة .
ثامناً – محمد علي فاضل – وزير الأوقاف .

فضلاً عن هؤلاء الوزراء ضَّمت الوزارة مجموعة من الوزراء الآخرين ولكن دون حقائب وزارية وكان أكثرهم من شيوخ القبائل(٩٦) ، ومن أجل أن تسيطر بريطانيا على الوزارة وبشكل تام عينت مستشاراً

بريطانياً في كل وزارة يتعاون مع الوزير في أتخاذ القرارات الخاصة بالوزارة وعند حدوث أي خلاف بين الوزير والمستشار يرفع ذلك القرار إلى مجلس الوزراء للنظر فيه ، وكان ارتباط المستشار البريطاني بالمندوب السامي البريطاني و ليس برئيس الوزراء[٩٧] .

انعقد مجلس الوزراء لأول مرة في الأول من تشرين الثاني ١٩٢٠ وقد ألقى وزير الدفاع جعفر العسكري كلمةً في ذلك الاجتماع جاء فيها ((يجب أن يعود الفلاّح إلى محراثه والراعي إلى قطيعه ويجب أن تحقن دماء شعبنا ونعود إلى زراعة الأرض وموئلها بالمحاصيل فهل تريدون أن تزهق أرواح أبناء عشائرنا هدراً وتموت مدننا وبلداننا من الجوع))[٩٨] ويظهر لنا من خلال كلمة جعفر العسكري أنها موجهة إلى الوزراء لأن كثير من الوزراء هم من زعماء العشائر التي قامت بالثورة وهو يدعوهم لإيقاف الثورة لأنَّ البريطانيين عازمون على إنهائها وهذا لا يتم إلا بعد تدمير وحرق المدن والقرى .

كانت الحكومة المؤقتة تسعى لتحقيق العديد من المهام وهي[٩٩] :

أولاً – النظر في عودة زعماء الثورة الذين نفوا إلى خارج العراق .

ثانياً – استدعاء الضباط العراقيين الذين خدموا في جيش الحجاز ومع فيصل في سوريا .

ثالثاً – تأسيس دوائر مدنية حكومية يديرها موظفون عراقيون .

رابعاً – وضع قانون للانتخابات النيابية في البلاد .

خامساً – العمل على تأسيس جيش عراقي .

بعث برسي كوكس رسالة إلى الضابط العراقي تحسين العسكري والذي كان في عنة من أجل التفاوض معه لإنهاء الثورة في منطقة أعالي الفرات ؛ لأَنَّ بريطانية حققت ما وعدت به الشعب العراقي وقامت بتأسيس حكومة عربية . وبعد المقابلة بينهما أرسل تحسين العسكري إلى بقية الضباط في الرمادي وحديثة و عنة يدعوهم إلى ضرورة إنهاء الثورة والعودة إلى بغداد للمشاركة في الحكومة الجديدة[١٠٠] .

ومن جانب آخر بَدَأ وزير الدفاع جعفر العسكري اتصالاته مع الضباط العراقيين من اجل تأسيس جيش قوي وكانت هناك ثلاث مجاميع من الضباط العراقيين وهي[١٠١] .

المجموعة الأولى :

تضم هذه المجموعة الضباط الموجودين داخل العراق وهم من الذين قاتلوا مع الجيش العثماني في جبهة العراق وعند انسحابه من العراق بقوا في وطنهم .

المجموعة الثانية :

يمثل هذه المجموعة الضباط الذين استمروا في خدمة الجيش العثماني وكانوا يقاتلون حتى ذلك الوقت مع مصطفى كمال أتاتورك.

المجموعة الثالثة :

هي مجموعة الضباط العراقيين الذين شاركوا في الثورة العربية ثم التحقوا بالحكومة العربية في سوريا والذين بقى قسم منهم هناك والقسم الآخر أَسَرَتْهُ القوات الفرنسية بعد معركة ميسلون .

بَدَأ جعفر العسكري اتصالاته مع المجموعة الأولى ؛ بسبب كونها الأقرب غير أنَّ أغلب هؤلاء رفضوا المشاركة أو الدخول في الجيش الجديد ، وعَلَّلوا ذلك الرفض بأنَّ الدولة الجديدة لا تستطيع السيطرة على العراق ؛ لأنَّها لا تملك الممرات الشمالية وبما أنَّ تلك الممرات لا تزال تحت سيطرة الدولة العثمانية فلابدَّ لها أن تعود لتسيطر على العراق مَرَّةً أخرى[١٠٢] .

في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٠ بعث برسي كوكس إلى حكومته ، يطلب منها تسهيل عودة الضباط العراقيين الموجودين خارج العراق للإسهام في تأسيس الجيش العراقي وأرسل جعفر العسكري رسالة إلى نوري السعيد يطلب منه العودة للعراق[١٠٣] وعلى أثر تلك الرسالة بعث نوري السعيد رسالة إلى ياسين الهاشمي والذي كان موجوداً في دمشق يطلب منه تجميع الضباط العراقيين والعودة إلى بغداد إلاَّ أن القوات البريطانية رفضت عودة ياسين الهاشمي ،وجميل المدفعي ، ومولود مخلص لاتهامهم بالاتصال بالعثمانيين[١٠٤].

وفي الأول من كانون الأول ١٩٢٠ التحق بوزارة الدفاع الضابط العراقي محي الدين بن عمر الخَيَّال[١٠٥] وعين في منصب وكيل القائد العام[١٠٦].

ب – تأسيس الجيش العراقي

في ٦ كانون الثاني ١٩٢١ انعقد الاجتماع التأسيسي للجيش العراقي وترأسه وزير الدفاع جعفر العسكري ومستشاره البريطاني **الميجر أيدي** Major Aidi فضلاً عن وكيل القائد العام الضابط العراقي محيي الدين بن عمر الخَيَّال . ونتج عن الاجتماع إعلان تأسيس الجيش ودعوة الضباط العراقيين في الجيش العثماني السابق للالتحاق بالجيش العراقي الجديد اعتبارا من ١٥ كانون الثاني ولغاية نهاية شباط ١٩٢١ويُعَدّ الذين لم يلتحقوا متنازلين عن حقوقهم كافةً وتقرر في الاجتماع استبدال المصطلحات العربية بدل التركية في الجيش[١٠٧]ولم يكن تأسيس الجيش على أساس عرقي أو طائفي أو ديني وإنما شمل أطياف الشعب العراقي كافة لكن كان يشارك فيه قسم من العشائر ولا سيما العشائر الموالية لبريطانيا[١٠٨] .

وصلت في ١٨ شباط ١٩٢١مجاميع من الضباط العراقيين إلى بغداد وعلى رأس هذه المجاميع نوري السعيد وعندما كانت وزارة الدفاع بحاجة إلى تعيين قائد في منصب رئيس أركان الجيش عهدت بهذا المنصب إليه[١٠٩] ثم توالى وصول مجاميع الضباط العراقيين من سوريا فوصلت مجموعة مؤلفة من ١١١ ضابطاً[١١٠] .

لم تكن الأمور قد اتضحت بصورة جلية عن مستقبل العراق وكيف ستكون الحكومة القادمة فيه ، وطبيعة الحكم ملكي أم جمهوري ، ومن سيكون على رأس السلطة حتى تمَّ عقد مؤتمر القاهرة عام ١٩٢١ .

ج – مؤتمر القاهرة :

على الرغم من تأسيس حكومة عراقية مؤقتة إلاَّ أنَّ الحكومة البريطانية ظلت تواجه ضغوطاتٍ داخليةً

تطالبها بالانسحاب من العراق نتيجة للخسائر المادية التي تكبدتها بريطانية في العراق[١١١] ، فضلاً عن ظهور مجموعة من الأمور والقضايا المتعلقة بالعراق بالنسبة لبريطانية والتي تتطلب إيجاد حلول سريعة لها وهي[١١٢] :

أولاً – النظر في إجراء ما يلزم لتقليل المبالغ التي تنفقها الحكومة البريطانية في العراق .
ثانياً – النظر في المؤهلات المتوفرة في الأشخاص الذين يمكن ترشيحهم لعرش العراق .
ثالثاً – النظر في الشكل الذي سيكون عليه وضع الحكومة العراقية بالنسبة للأكراد في المنطقة الشمالية من العراق .
رابعاً – النظر في نوع وكيفية تكوين جيش للدفاع عن المملكة العراقية .

ولهذه الأسباب والأسباب الأخرى تتعلق في مستقبل المستعمرات البريطانية في الشرق الأوسط وجه وزير المستعمرات البريطاني ونستن تشرشل **Wonstane Churchill**[١١٣] الدعوة إلى السياسيين البريطانيين في مناطق الشرق الأوسط والشرق الأدنى إلى الاجتماع في القاهرة يوم ١٢ آذار ١٩٢١ للبتَّ في تلك المسائل[١١٤] . وكانت من بين أهم المشاكل التي واجهت المؤتمر مشكلة عرش العراق بسبب عدد المرشحين لشغل هذا المنصب ومنهم[١١٥]

أولاً – فيصل بن الحسين ملك سوريا السابق .
ثانياً – طالب النقيب ،نقيب أشراف البصرة و وزير الداخلية في الحكومة المؤقتة .
ثالثاً – عبد الرحمن النقيب ، نقيب أشراف بغداد ورئيس الحكومة المؤقتة .
رابعاً – عبد الهادي العمري ، أحد الشخصيات المعروفة بالموصل .
خامساً – برهان الدين ، نجل آخر السلاطين العثمانيين .
سادساً – الشيخ خزعل ، شيخ إمارة المحمرة .
سابعا – غلام رضا خان ، أمير مقاطعة بشت كوة الإيرانية .
ثامنا – أحد أمراء الأسرة المالكة في مصر .

و لمعالجة قضايا العراق في المؤتمر تشكل وفد يمثل العراق في المؤتمر وغادر إلى القاهرة في ٢٢ شباط ١٩٢١ وكان مؤلف من (برسي كوكس المندوب السامي ، جعفر العسكري وزير الدفاع ، ساسون حسقيل وزير المالية ، الميجر أيدي مستشار وزير الدفاع ، ومستشار وزارة المالية ، مستشار وزارة الأشغال العامة ، المس بيل سكرتيرة المندوب السامي ، السير المر هولدين قائد القوات البريطانية في العراق[١١٦] وفي أثناء غياب جعفر العسكري شغل نوري السعيد منصب وزير الدفاع وكالة والذي قدم لمجلس الوزراء في ٢٧ شباط مشروع قرار تبديل الموظفين الهنود بموظفين عراقيين وبصورة تدريجية[١١٧].

انعقد مؤتمر القاهرة للفترة ١٢ – ٢٤ آذار ١٩٢١ لمناقشة القضايا المتعلقة في العراق والشرق الأوسط التي أشرنا إليها سابقاً وخلال جلسات المؤتمر واصل (**وستون تشرشل**) اتصالاته مع رئيس حكومته (**لويد جورج**) من أجل التوصل إلى اتفاق حول المسألة الأكثر تعقيداً وهي ترشيح الشخصية المناسبة لعرش العراق ، وبعد يومين من انعقاد المؤتمر بعث تشرشل رسالة إلى لويد جورج أطلعه على مداولات المؤتمر ، وبأنَّهُ يؤيد ترشيح الأمير فيصل لعرش العراق بصفته أفضل وأحسن حل لمحنة بريطانيا في العراق[١١٨] ، وبعد أربعة أيام من الرسالة الأولى بعث تشرشل رسالة أخرى إلى لويد جورج يطلب منه مساندة ترشيح الأمير فيصل لموافقة أغلب الآراء حول ترشيحه لعرش العراق[١١٩] ومن خلال هاتين الرسالتين بعث لويد جورج إلى تشرشل يخبره بأنه يوافق على ترشيح الأمير فيصل إذا تأكد من أنَّ فيصل يوافق على الانتداب البريطاني على العراق ، وأنَّهُ لا يدخل في أي نزاع مع فرنسا[١٢٠] .

بعد أن تَمَّ الاتفاق بين السياسيين البريطانيين حول من سيتولى عرش العراق اختتم المؤتمر جلساته وخرج بالقرارات الآتية[١٢١]:

أولاً – تخفيض نفقات الجيش البريطاني في العراق إلى٢٠ مليون باون .
ثانياً – تأسيس جيش عراقي مؤلف من ١٥ ألف مقاتل وتخصص له ١٥% من واردات العراق وتزداد النسبة بصورة تدريجية لتصل إلى ٢٠% .

ثالثاً – الإطلاع على رغبة الأكراد في الانفصال عن العراق أو الاندماج في المملكة العراقية الجديدة .
رابعاً – الموافقة على ترشيح الأمير فيصل لعرش العراق .

وكانت الفقرة الأخيرة من بين أهم النقاط الأساسية التي عالجت وضع العراق وحسمت النزاع بين من لهم الرغبة بتولي عرش العراق وقد تَمَّ اختيار الأمير فيصل للأسباب الآتية :

أولاً – علاقته الجيدة والحسنة مع بريطانيا بحيث يستطيع أن يدير العراق بارتباط وثيق مع بريطانيا وعلى أفضل ما يكون[١٢٢] .
ثانياً – اعتقاد الساسة البريطانيين بأنَّ تنصيب فيصل على عرش العراق سيزيد من سيطرة بريطانيا على فيصل و أبيه الشريف حسين[١٢٣] . وفي الوقت نفسه لتظهر بريطانيا بأنَّها بَرَّتْ بوعودها للأسرة الهاشمية .
ثالثاً- إنَّ البريطانيين يعتقدون أنَّ ترشيح الأمير فيصل لا يثير أي مشاكل داخل العراق لأنه معروف باعتداله تجاه الأديان والمذاهب[١٢٤].
رابعاً – أنَّ اختيار الأمير فيصل جاء نتيجة تفوقه على منافسيه إذْ إن عبد الرحمن النقيب كان كبير السن وانحسار نفوذه في البصرة والموصل ، أما طالب النقيب فلم يَحْظَ بتأييد بريطانيا لأنه ذو نزعة انفصالية ، أما هادي العمري فلم يتعَّد نفوذه الموصل ، وبرهان الدين رُفض ترشيحه لخشية عودة السيطرة العثمانية على العراق ، أما الشيخ خزعل و رضا خان فإنَّ شعبيتهما لا تتعدى مناطق نفوذهما ولم يكن الشعب العراقي على معرفة كبيرة بهما[١٢٥] .

د- العراق بين مؤتمر القاهرة وتتويج الملك فيصل :

بعد انتهاء المؤتمر بعث جعفر العسكري رسالة إلى الأمير فيصل في ٢٥ آذار ١٩٢١ يخبره بنتائج المؤتمر والذي تقرر فيه إسناد عرش العراق إليه وتشكيل جيش عراقي ثم عاد الوفد إلى العراق في مطلع نيسان من العام نفسه(١٢٦) . وعلى أثر عودة

الوفد مباشرة قامت القوات البريطانية باعتقال وزير الداخلية في الحكومة العراقية المؤقتة طالب النقيب وقد أوضحت المس بيل أن سبب الاعتقال هو تهديد طالب النقيب خلال حفلة أقيمت في بيته إذا لم تسيرْ الأمور كما يرغب فيه فإنَّهُ عنده من الرجال والسلاح ما يجعله قادراً على معالجة الموقف(١٢٧) ، وأن البريطانيين اتهموا طالب النقيب بأنه يسعى لتنصيب نفسه ملكاً على العراق ، وأنَّهُ يعارض أيَّ شخص يحكم العراق غير أبنائه ولذلك تِمَّ اعتقاله(١٢٨).

ويبدو لنا من خلال ذلك أنَّ البريطانيين اعتقلوا السيد طالب النقيب لسببين ، الأول: التخلص منه ؛ لأنَّهُ رُبَّما يثير لهم مشاكل في المستقبل ، والثاني: أرادت بريطانيا من خلال اعتقاله إيصال رسالة لكل من يعارض سياستها أن مصيره الاعتقال .

واصلت الحكومة المؤقتة أعمالها بغياب وزير الداخلية وأصدرت وزارة الدفاع في ١٩ أيار ١٩٢١ قراراً بإنشاء المدرسة العسكرية العراقية بهدف إعادة تدريب الضباط العراقيين الذين سبق لهم الخدمة في الجيش العثماني على الأساليب الحديثة في القتال وتم تخريج أول دفعة من ٢٥٠ ضابطاً عراقياً وفتحت بعد ذلك باب التطوع في الجيش لكل فرد يتراوح عمره بين ١٨ - ٤٠ ، وحددت مدة الخدمة بسنتين ونصف مع ضمان عدم إرسال الجنود خارج حدود العراق(١٢٩) .

وعقب هذا القرارات أعلن برسي كوكس عفواً عن الذين اشتركوا في ثورة العشرين وقد استثنى من ذلك الموظفين وقائمة ضمت مجموعة من الأسماء الذين سَمَّاهم برسي كوكس مرتكبي الجرائم الشنيعة ، أو المُحَرَّضين عليها وعلى رأس هؤلاء الضابط العراقي عبد الحميد الدبوني المشارك في ثورة تلعفر والشيخ ضاري شيخ قبيلة زوبع وقاتل الكولونيل لجمان(١٣٠) .

ولسوء الفهم حينما يدافع الإنسان عن نفسه أو يشارك في الدفاع عن وطنه مع إخوانه يصبح من مرتكبي الجرائم الشنيعة بينما تقوم قوات الاحتلال بتدمير كُلَّ شيءٍ وتقتل الأبرياء وفي النتيجة تصبح هي المُعتدَى عليها فيئسَ عدالة الاحتلال التي ينادي بها .

قرر مجلس الوزراء في الحكومة المؤقتة وذلك في ١٦ حزيران من ١٩٢٠ تشكيل لجنة من خمسة أعضاء برئاسة وزير الدفاع جعفر العسكري مهمتها القيام بالتحضيرات اللازمة لاستقبال الأمير فيصل وإيجاد المكان المناسب لإقامته(١٣١) ، فتحرك الوفد إلى البصرة التي وصلها الأمير فيصل في ٢٣ من ذات الشهر وكان بصحبته الضابطين العراقيين علي جودت الأيوبي وإبراهيم كمال وفي اليوم التالي لوصول الأمير أقيمت له مأدبة في البصرة فألقى الأمير خطبةً شَكَرَ فيها العراقيين لحسن الضيافة التي هي من خصالهم وطلب من العراقيين الوحدة والتماسك من أجل خدمة بلدهم وأكَّدَ للحضور فيما إذا اجمع العراقيون على شخص غيرهُ فأنَّهُ أول الموافقين عليه(١٣٢) ، وبعدها غادر الأمير فيصل إلى بغداد وزار في طريقه المدن الواقعة بين البصرة وبغداد التي وصلها يوم ٢٩ حزيران ١٩٢١ وقد تم استقباله استقبالاً رسمياً وشعبياً(١٣٣) .

أصدر مجلس الوزراء العراقي المؤقت في ١١ تموز من العام نفسه قراراً ينادي بالأمير فيصل ملكاً على العراق شرط أن تكون ملكيةً دستوريةً نيابيةً ديمقراطيةً مقيّدةً بالقانون ولا يتم ذلك إلاَّ بعد استفتاء الشعب العراقي(١٣٤) وعلى الفور باشرت وزارة الداخلية بتوزيع مضابط الاستفتاء في المدن العراقية ليستفتىء الشعب العراقي بالقبول أو الرفض في تولي الأمير فيصل عرش العراق فجاءت النتيجة ٩٦ % من الشعب العراقي يوافق على ذلك، بعد أن ظهرت نتيجة الاستفتاء لم يبق إلاَّ أنَّ يُحَدَّدَ يوم للتتويج الأمير فيصل بعرش العراق ، وقد تم تحديد ٢٣ أب ١٩٢١ (١٣٥) وفي اليوم المحدد أقيمت حفلة التتويج في ساحة برج الساعة في بغداد وبحضور المندوب السامي البريطاني برسي كوكس والسير المر هولدين قائد القوات البريطانية مع أعضاء الحكومة العراقية المؤقتة وبعد التتويج قدم عبد الرحمن النقيب استقالة حكومته(١٣٦) وباستقالة عبد الرحمن النقيب انتهت مرحلة من حياة الضباط العراقيين الذين عملوا من خلالها في ميادين ومناصب كثيرة أكسبتهم الخبرة السياسية والعسكرية والتي من خلاله أسهموا إسهاماً كبيراً في تأسيس الدولة العراقية الحديثة التي استمرت من ٢٣ أب ١٩٢١ حتى ٩ نيسان ٢٠٠٣ عندما انتهت بالاحتلال الأمريكي - البريطاني – الإيراني – الصهيوني للعراق ، خلافا للشرعية الدولية .

الخـــلاصـــــة :

يتضح مما تقدم أن ضباط الجيش العراقي كانوا أوفياء لمهنتهم العسكرية ولوطنهم ولامتهم العربية والإسلامية، فأنهم قاتلوا إلى جانب العثمانيين في جبهات عديدة في أوربا والوطن العربي عندما كان العثمانيون يقاتلون باسم الإسلام فشعروا إن العراق هو جزءٌ من الوطن العربي والعالم الإسلامي فيجب القتال من اجل ذلك.

وعندما حدث الانقلاب العثماني ١٩٠٨م ونادى بحقوق القوميات انضم الضباط العراقيين في جمعيات سرية وعلنية من اجل الحصول على الاستقلال وتحقيق طموح بلادهم وأمتهم، ولذا قاتلوا إلى جانب الشريف حسين إثناء الثورة العربية الكبرى عام١٩١٦م.

وما إن انتهت الحرب العالمية الأولى إلا ووجد الضباط إن بلادهم قد وقعت تحت الاحتلال البريطاني وخاصة بعدما خابت أمالهم بحلفائهم الأوربيين من خلال مؤتمر الصلح في فرساي عام١٩١٩م، وحكم العراق حكما عسكريا بريطانيا مباشرا. فعملوا جاهدين على إنقاذ بلادهم من السيطرة الاستعمارية البريطانية وخاصة بعدما فشلوا بالحصول على إي انمل في الاستقلال.

فعملوا بجهد مضني من اجل الثورة على الاحتلال، فقاموا بهاجمة القوات البريطانية في ثورتي دير الزور وتلعفر التي كانت أول مدينة عراقية تحررت من السيطرة الاستعمارية البريطانية عام١٩٢٠م . وبعد التنسيق مع شيوخ القبائل الوطنية وعامت طبقات الشعب مثل ماعمل تحسين العسكري

وياسين الهاشمي، فكانت ثورتي دور الزور وتلعفر هي الانطلاقة للثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠م.

وبع فشل هذه المحاولات ووعود الاحتلال من جديد بتأسيس حكومة عربية في العراق بزعامة فيصل ابن الحسين فان الضباط العراقيون عادوا إلى الدبلماسية مرة ثانية وعملوا بكل جهد من اجل بناء مؤسسات الدولة العراقية الحديثة . وتأسيس نواة الجيش العراقي الحديث في ٦كانون الثاني عام ١٩٢١م فكان جيشا وطنيا وقد اثبت ذلك في جميع المناسبات التي اقتضت الدفاع عن العراق والأمة العربية. ويتضح من كل ذلك الدور الفاعل الذي قام به الضباط العراقيين في تأسيس دولة العراق الحديثة.

المصـــادر والهـوامـش :

1-Lord Birdwood,Nuri as-Said, A study in Arab leadership, London 1959. p199.

٢-ارنولد ولسن ١٨٤٨-١٩٤٠م : احد الضباط البريطانيين الذين شاركوا في احتلال العراق ثم تدرج في المناصب حتى أصبح وكيل الحاكم السياسي في العراق خلفا لبرسي كوكس ١٩١٨م، شهدت مدة حكمه قيام ثورة العشرين والتي انتهت بإقصائه عن منصبه وعودة برسي كوكس لتولي هذا المنصب، ينظر محمد يوسف القريشي، المس بيل وأثرها في السياسة العراقية، مكتبة اليقظة العربية، بغداد ٢٠٠٣م ،ص ٦٦.

٣-وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠م الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق، ط٢ ، مطبعة اشبيلية، بغداد ١٩٨٥م، ص١٦٥.

4-H.Howard,The king-crane commition, (an American inquiry in to the Middle East), Beirut, 1963, p140.

٥- السيد محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين- معلومات وشهادات في الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠م ، مطبعة التضامن، النجف ١٩٧١م، ص١٨٧.

٦- قحطان احمد عبوش التلعفري، ثورة تلعفر ١٩٢٠م مطبعة الأزهر بغداد ١٩٦٩م، ص.٦٧

٧-المس بيل ١٨٦٨-١٩٢٦م :ولدت في مدينة درم البريطانية وأكملت تعليمها فيها ثم انتقلت إلى جامعة اكس فورد ومارست هواية السفر حتى وصلت العراق ومكثت فيه ١٩٠٩-١٩١١م ثم انتقلت للخدمة في مكتب الاستخبارات البريطانية في القاهرة لمعرفتها بالناطق العربية ثم التحقت بالقوات البريطانية في العراق بصفة ضابط ارتباط ثم شغلت منصب معاون الحاكم السياسي في العراق، ينظر محمد يوسف، مصدر سابق ص.٢

٨- المس بيل، العراق في رسائل المس بيل ١٩١٧-١٩٢٦م، ترجمة وتعليق جعفر الخياط، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٣م، ص.١١٣

٩-قحطان احمد عبوش التلعفري، المصدر السابق، ص.١١٧

10-Minstre des Affaires etranger France –D.c N860-17p10.

١١-تحسين علي العسكري، مذكراته عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية، ج٢،النجف ١٩٣٦م،ص٦٠.

١٢-تحسين علي،المصدر نفسه،ص.٦١

١٣-عبد الرزاق محمد اسود، موسوعة العراق السياسية،م٢،بيروت ١٩٨٦م،ص.٥٧

١٤-تحسين على العسكري،المصدر السابق، ص.٦٥

١٥- قحطان احمد عبوش التلعفري، المصدر السابق،ص.١٤٨

١٦-علي جودت الأيوبي، ذكريات ١٩٠٠-١٩٥٨م، بيروت ١٩٦٧م، ص.٩٣

١٧-خليل إبراهيم احمد، حركة تلعفر من خلال تقرير سري بريطاني، مجلة الجامعة، العدد٤، جامعة الموصل،كانون الثاني ١٩٧٨م،ص.١٥

١٨-عبد الرزاق محمد اسود، المصدر السابق، ص.٧٧

19-T. LIoyd, Empire welfare state, Europe English History 1906-1992, pries. P95.

٢٠-قحطان احمد عبوش التلعفري،المصدر السابق،ص١٥٥.

٢١-سليم طه التكريتي، مولود مخلص بطل معركة وادي موسى، الدار العربية، بغداد١٩٩٠م،ص.٤٨

٢٢-ارنولد ولسن،المصدر السابق،ص.٩٢

٢٣-محمد يونس السيد عبد الله، أهمية تلعفر في الثورة العراقية الكبرى، ١٩٢٠م ،مطبعة الجمهورية، الموصل ١٩٦٧م، ص.٢٩

٢٤-السر المر هولدين، ثورة العراق، ترجمة فؤاد جميل، مطبعة الزمان،بغداد ١٩٦٥م، ص٦١ .

٢٥- قحطان احمد عبوش التلعفري ، المصدر السابق،ص.٢٦٢

٢٦-محمد يونس السيد عبد الله، المصدر سابق، ص.١٣٩

٢٧-ارنولد ولسن، المصدر السابق،ص٩٤.

28-K.Mohammed Selman, Les Relation Irako- Britanique 1918-1932. Memoire de D.E.A Rennes 1986p78.

٢٩-كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه أمين ومنير البعلبكي، ط٤، بيروت١٩٦٥م، ص٧٧٧.

٣٠-محمد طاهر العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية،ج٣، بغداد ١٩٢٤م. ص.٩٩

31-K.M.Selman, op-cit.p80.

٣١-فاضل حسين وآخرون،تاريخ العراق المعاصر، بغداد١٩٨٠م،ص٢٠.

٣٢-يوسف ألخوري، المشاريع الوحدوية، ص.٤٣

٣٣-وجيه علم الدين،العهود المتعلقة بالوطن العربي، دار الكتاب الجديد، بيروت١٩٦٥م، ص.٧٥

٣٤-عبد الرحمن البزاز، محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال،معهد الدراسات العربية، القاهرة١٩٥٤م، ص.٢٢

٣٥-المس بيل،المصدر السابق، ص.١٦٨

٣٦-عبد الرزاق البزاز، المصدر السابق،ص.١٦

٣٧-عبد الرزاق الحسني، تاريخ الأحزاب العراقية ، ص.١٧١

٣٨-علي البرزكان، الوقائع الحقيقية للثورة العراقية، بغداد١٩٤٥م، ص.٦١

٣٩-عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى،ط٢،مطبعة العرفان، بيروت، ص.٦٢

٤٠-ل.ن. كتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، ترجمة عبد الواحد كرم، بغداد١٩٧١م، ص.١٦٢

٤١-المس بيل،فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر الخياط،ط٢ دار الكتب، بيروت ١٩٧١، ص.٤٢٥

٤٢-فرنك:هو فرانك بلفور الحاكم العسكري البريطاني لمدينة بغداد عام ١٩١٧م.
٤٣-مس بيل، العراق في رسائل مس بيل،ص.١٥٣
٤٤-عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية، ص.٧٠
٤٥-ارنولد ولسن، المصدر السابق،ص.٦٠
٤٦-السير المر هولدين، المصدر السابق،ص.١٠٢
٤٧-محمد مهدي البصير،مصدر سابق، ص.٢٠٩
٤٨-المس بيل، العراق في رسائل مس بيل، ص.١٧١
٤٩-السير المر هولدين، المصدر السابق،ص.١١٩
٥٠-ارنولد ولسن، المصدر السابق،ص.١٠٢
٥١-المس بيل،فصول من تاريخ العراق القريب،ص.٤٤٩
٥٢-السير المر هولدين، المصدر السابق،ص.١٠٤
٥٣-سامي النقشلي :هو من مواليد بغداد أكمل دراسته فيها ثم انتقل للأستانة ودخل الكلية العسكرية وتخرج برتبة ضابط وخدم في الجيش العثماني إثناء الحرب العالمية الأولى في جبهة جناق قلعة وضل موالي للدولة العثمانية حتى نهاية الحرب،أنضر السيد محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين،ص.٢٦١
٥٤-محمد حسين الزبيدي، السياسيون العراقيون المنفيين إلى جزيرة هنكام ١٩٢٢، دار الحرية، بغداد ١٩٨٥م، ص.٢٠٤
٥٥-حنان صاحب عبد الخفاجي، السماوة في عهد الاحتلال البريطاني١٩١٤-١٩٢١م، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة القادسية ،٢٠٠٥،ص.١٦٠
٥٦-محمد مهدي البصير، المصدر السابق،ص.٣٠٥
٥٧-تحسين العسكري،المصدر السابق،ص.١٥٠
٥٨-تحسين العسكري، المصدر نفسه، ص.١٥٩
٥٩-السيد محمد علي كمال الدين، المصدر السابق، ص.٢٧٩
٦٠-عبد الجبار العمر، محاكمات سياسية مثيرة امام القضاء العراقي،(مصرع الكولونيل لجمان)، دار القادسية للطبع، بغداد١٩٨٣م، ص.٥٨
٦١-عبد الحميد العلوجي وعزيز جاسم الحجية، الشيخ ضاري قاتل الكولونيل لجمان في خان النقطة، بغداد١٩٦٨م، ص٦٣ .
٦٢-تحسين العسكري ، المصدر السابق، ص.٢٠٥
٦٣-كامل سلمان الجبوري، الكوفة في ثورة العشرين، مطبعة الاداب، النجف١٩٧٢م، ص.٨٤
٦٤-عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية، ص.١٩٥
٦٥-ارنولد ولسن، المصدر السابق، ص.١٠٤
٦٦-عبد الرحمن البزاز، المصدر السابق، ص.٣٦
٦٧-كتلوف، المصدر السابق، ص.١٩٣
٦٨-عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية، ص.١٦٠
٦٩-السير المر هولدين، المصدر السابق، ص.١٧٧
٧٠-عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية، ص.١٦٢
٧١-عبد الرحمن البزاز، المصدر السابق، ص.٣٥
٧٢-ابراهيم خليل احمد، الانبار يون وثورة ١٩٢٠، مجلة التربية والعلم، العدد١٣، جامعة الموصل١٩٩٣م، ص.٣٠
٧٣-وميض جمال عمر نضمي، المصدر السابق، ص.٣٨٥
٧٤-السيد محمد علي كمال الدين، المصدر السابق، ص.٢٥٠
٧٥-عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية، ص.١٧٥
٧٦-علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ط٢، دار الرشيد، بيروت٢٠٠٥، ص.٧٠
٧٧-ارنولد ولسن، المصدر السابق، ص.١١٦
٧٨-السير المر هولدين. المصدر السابق، ص.٢٩٢
٧٩-محمد مهدي البصير، المصدر السابق، ص.٣٠٧
٨٠-عبد الله فياض الثورة العراقية الكبرى، ص.٧٠
٨١-غسان العطية، العراق نشاة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١م، ترجمة عطى عبد الوهاب، دار السلام، لندن١٩٨٨م، ص.٣٩٩
٨٢-غسان العطية، المصدر نفسه، ص.٤٠٠
٨٣-كتلوف، المصدر السابق، ص.١٨٥
٨٤-تقصد بغداد.
٨٥-المس بيل، العراق في رسائل المس بيل، ص.١٦٩
٨٦-علي البرزكان، المصدر السابق، ص.١٨٧
٨٧-عبد الرزاق الحسني الثورة العراقية، ص.٢٢٤
٨٨-برسي كوكس وهنري دوبس، مذكرات برسي كوكس وهنردي دوبس(تكوين الحكم الوطني في العراق)، ترجمة بشير فرجو، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل١٩٥١م، ص.٤٠
٨٩-المس بيل، العراق في رسائل المس بيل، ص.٢١٦
٩٠-عبد الرحمن البزاز، المصدر السابق، ص.٤٤
٩١-محمد يوسف القريشي، المصدر السابق، ص.١٠٠
٩٢-فليب ويلارد اريلند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر الخياط، بيروت١٩٤٩م، ص.٢٠٤
٩٣-جعفر العسكري، المصدر السابق، ص.١٧٧
٩٤-عبد الرحمن النقيب:هو من مواليد بغداد منطقة الرصافة وكان يلقب بالقادري نسبة الى جده عبد القادر الكيلاني، درس علوم القران وبقية العلوم الدينية، كان يتمتع بعلاقات جيدة مع السلطان عبد الحميد الثاني، ناصب العداء للاتحاديين الذين قاموا انقلاب ١٩٠٨م في تركيا، اصبح رئيس لوزراء الحكومة المؤقتة في بغداد١٩٢٠م، اول رئيس وزراء في المملكة العراقية بعد تتويج الملك فيصل الاول، ينظر رجاء حسين الخطاب، عبدالرحمن النقيب حياته الخاصة وآراءه السياسية، الدار العربية للطباعة، بغداد ١٩٨٥، ص.٥
٩٥-رجاء حسين خطاب، العراق بين ١٩٢١-١٩٢٧م، بغداد ١٩٧٦م، ص.٣٥٥
٩٦-خيري امين العمري، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث، مطبعة القادسية، بغداد د-ت، ص.٤١
٩٧-غسان العطية، المصدر السابق. ص.٤٦٥
٩٨-المس بيل، العراق في رسائل المس بيل، ص.٢٤٠
٩٩-برسي كوكس وهنري دوبس، المصدر السابق، ص.٤٦
١٠٠-تحسين العسكري المصدر السابق، ص.٢٠٥
١٠١-مديرية التطوير القتالي، تاريخ القوات العراقية المسلحة، ج١، دار الحرية للطباعة بغداد١٩٨٦م، ص.١٨٠
١٠٢-المس بيل، العراق في رسائل المس بيل، ص.٢٥١
١٠٣-رجاء حسين الخطاب، تاسيس الجيش العراقي، ص.٣١
١٠٤-فليب ايرلند، المصدر السابق، ص.٢٠٠
١٠٥-محي الدين بن عمر الخيال١٨٨١-١٩٥١م:ولد في بغداد واكمل دراسته فيها ثم انتقل للاستانة بالمدرسة العسكرية وتخرج برتبة ضابط صنف الخيالة عام١٩٠٠م، اشترك مع الدولة العثمانية في الحرب ضد البريطانيين في جبهة العراق وقع اسير بيد القوات البريطانية، التحق بالثورة العربية الكبرى ثم حكومة دمشق وشغل منصب وكيل القائد العام، احيل الى التقاعد عام ١٩٣٠م، ينظر ايرلند، المصدر نفسه، ص.١٨٠
١٠٦-مديرية التطوير القتالي، المصدر السابق، ص.١٨٢
١٠٧-رجاء الخطاب، تاسيس الجيش العراقي، ص.٣٦
١٠٨-سلمان خيري محمد الحديثي، الجيش العراقي عامل قوة في وحدة العراق السياسية، بحث منشور في مركز صلاح الدين الايوبي، جامعة تكريت٢٠٠٨م، ص.٨
١٠٩-محي الدين اسماعيل، ١٢رئيس وزراء، بغداد١٩٨٤، ص.٣١
١١٠-رجاء حسين الخطاب، تاسيس الجيش العراقي، ص.٢٢٣
111-K.M.Salman, op,cit,p54.

١١٢-حسين جميل، العراق شهادة سياسية١٩٠٨-١٩٣٠م، دارالسلام، لندن ١٩٨٧م، ص٦٣.
١١٣-ونستن شيرشل: سبتسر شيرشل ولد عام١٨٧٤م في مدينة اكس فورد، درس في هاروساند هيرست وتخرج ضابط برتبة ملازم ١٨٩٥م، شارك في حرب البوير، انخب ممثل في البرلمان عن حزب المحافظين عام١٩٠٠م، تولى وزارة الحربية ١٩١١م، وزير للحربية والطيران في عام١٩١٨-١٩٢١م، اصبح وزير المستعمرات ١٩٢١، ينظر يونستن شيرشل، مذكراته،ج١، ترجمة خيري حماد، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٦١م ص.٧
١١٤-عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث.ج١، ط٧،دار الشؤن الثقافية، بغداد١٩٨٩م، ص.٢٠٨
١١٥-محمد مهدي كبة، مذكراته في صميم الاحداث١٩١٨-١٩٥٨م، منشورات دار الطباعة، بيروت١٩٦٥،ص.٢٢
116-Attp://www.Sotalirraq.com/New Iraq/2008-6-3.
١١٧-عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية،ج١، ط٧، دار الشؤون الثقافية، بغداد١٩٨٨م، ص٣٦.
118-C.O.730-13-21450-14 march1921.
119-F.O.371-6350, 18march 1921, Churchill to Lioyd George.
120-C.O.730-9-14449- march 1921.
١٢١-برسي كوكس وهنري دوبس، المصدر السابق، ص٥٠.
١٢٢-عبد المجيد كامل عبد الطيف، دور فيصل الاول في تاسيس الدولة العراقية الحديثة١٩٢١-١٩٣٣م، اطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية١٩٩١،ص.٣٤
١٢٣-عبد الرحمن منيف، العراق هوامش من التاريخ والمقاومة، ط٢، الدار البيضاء، المغرب٢٠٠٤، ص.٦٩
124-C.O.732-5-13446-14-6-1921.
١٢٥-خيري امين العمري، حكايات سياسية، ص٦٦.
١٢٦-مديرية التطوير القتالي، المصدر السابق، ص.١٩١
١٢٧-المس بيل، العراق في رسائل المس بيل ،ص.٣١٣
128-C.O.730-4-21451.
١٢٩-سلمان خيري محمد، المصدر السابق، ص٩.
١٣٠-محمد مهدي البصير، المصدر السابق،ص.٣١٨
١٣١-المس بيل،العراق في رسائل المس بيل، ص.٣٣٥
132-K.M.Salman, op-cit, p79.
١٣٣-محمد مهدي البصير، المصدر السابق، ص٣٢٦.
١٣٤-عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج١، ص.٥٥
١٣٥-عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث،ج١، ص.٢٣٣
١٣٦-عبد المجيد كامل، المصدر السابق، ص٤٧